



٣١

لكتبي

حِكَايَةُ رَجُلٍ عَظِيمٍ

وَقِصَصُ أُخْرَى

بقلم : عبد المنعم هبيرة
رسوم : منال بدراي



دار المعارف

دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة: ج.م.ع.

إعداد الماكيت: أماني والى

اسمهُ حُسَيْن!

كَانَ رَجُلًا عَظِيمًا، اسْتَطَاعَ بِذَكَائِهِ الْجَبَّارَ أَنْ يَحْقُقَ
لنَفْسِهِ مَكَانَةً عِلْمِيَّةً بَارِزَةً، وَأُظْهِرَ تَفَوُّقًا رَائِعًا فِي سَاحَةِ
الْعَمَلِ الْحُرِّ، فَأَنْجَزَ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَشْرُوعَاتِ الْكَبِيرَةِ، الَّتِي
جَعَلَتْهُ فِي مَصَافِّ الْعِظَمَاءِ، الَّذِينَ يَفْخَرُ بِهِمْ وَطَنُنَا.

وكَانَ وَرَاءَ نَجَاحِهِ هَذَا سِرٌّ كَبِيرٌ، وَرَحْلَةٌ عَرَقٍ وَكِفَاحٍ
بِذَلٍّ فِي سَبِيلِهَا الْكَثِيرِ.. كَانَ يَفْخَرُ بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ،
وَلَمْ يَكُنْ بِاسْتَطَاعَتِهِ نِسْيَانَهَا، فَقَدْ كَانَتْ أَحْدَاثُهَا تُرَاوِدُ
خَيَالَهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، مُذَكِّرَةً إِيَّاهُ بِمَا مَرَّ بِهِ مِنْ أَمَالٍ
وَأَلَامٍ.. لِذَلِكَ فَهُوَ يَتَذَكَّرُ كُلَّ شَيْءٍ، مِنْ أَحْدَاثِ رَحْلَةٍ
كِفَاحِهِ تِلْكَ.

يَتَذَكَّرُ حُسَيْنٌ مَا مَرَّ بِهِ فِي سِنَوَاتِ طِفُولَتِهِ الْأُولَى،
عِنْدَمَا كَانَ لَهُ كُوخٌ صَغِيرٌ مِنَ الطُوبِ اللَّبِنِ، يَقْبَعُ فِي
أَعْمَاقِ قَرْيَتِهِ الْهَادِئَةِ، كَانَ كُوخًا جَمِيلًا، وَقَدْ أَحَبَّ حُسَيْنٌ
كُلَّ مَا فِيهِ مِنْ بَسَاطَةٍ، وَاطْمَأَنَّ إِلَى الْعَيْشِ فِيهِ مَعَ
وَالِدَتِهِ الطَّيِّبَةِ، الَّتِي كَانَتْ سَعِيدَةً جَدًّا بِتِلْكَ الْحَيَاةِ.

لَقَدْ نَجَحَتِ الْأُمُّ فِي أَنْ تَجْعَلَ حُسَيْنًا، لَا يَكَادُ يَحِسُّ
بِفِرَاقِ وَالِدِهِ، الَّذِي اضْطَرَّتْهُ ظُرُوفُ الْحَيَاةِ، إِلَى الْعَمَلِ



فِي إِقْلِيمٍ بَعِيدٍ، كَسَبًا لِلْمَالِ الْحَلَالِ.. وَاكْتَفَى بِزِيَارَتِهِ
لَأُسْرَتِهِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ.. وَكَانَتْ الْأُمُّ تَشْعُرُ
بِالْأَسَى لِفِرَاقِ وَالِدِ حُسَيْنٍ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَجِدُ فِي حُسَيْنٍ
عِزًّا.. وَفِي أَحْيَانٍ، كَانَتْ تَتَسَلَّى مَعَ حُسَيْنٍ بِلَعْبِهِ
الْخَاصَّةِ، وَتَلْهُو مَعَهُ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى مَعَ أَصْدِقَائِهِ مِنَ
الْحَيَوَانَاتِ الْأَلِيفَةِ.. وَقَدْ تَدَاعَبَهُ ثَالِثًا بَعَرَضٍ بَعْضِ
أُمْنِيَّاتِهَا عَلَيْهِ.. فَمَثَلًا قَالَتْ لَهُ يَوْمًا:

- ائْتَنِي يَا حُسَيْنُ أَنْ أَرَكَ طَبِيبًا..

فَسَأَلَهَا:

- لِمَاذَا يَا أُمِّي..؟

فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ:

- لِكَيْ تُعَالَجَ الْمَرْضَى الْفُقَرَاءَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَتِنَا.

تَذَكَّرَ حُسَيْنُ أَنَّهُ رَأَى بَعْضَ الْمَرْضَى فِي قَرْيَتِهِ لَا
يَجِدُونَ عِلَاجًا.. فَقَالَ لِأُمِّهِ وَقَدْ امْتَلَأَ عِزْمًا وَإِصْرَارًا:

- سَوْفَ أَحَاوِلُ أَنْ أَصْبَحَ طَبِيبًا يَا أُمِّي.

وَقَرَّرَ حُسَيْنُ بِصِدْقٍ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، بِإِذْنِ مَزِيدٍ مِنَ
الْجَهْدِ وَالْعَرَقِ فِي اسْتِذْكَارِ دُرُوسِهِ، وَقَدْ هَزَّهُ بَعْنَفٍ

أَنَاتُ الْمَرْضَى وَالْمُعَذِّبِينَ، وَعَزَمَ عَلَى الْعَمَلِ مَا وَسِعَهُ
الْجُهْدُ فِي تَخْفِيفِ أَلَامِهِمْ وَأَحْزَانِهِمْ. وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ.



وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، زَارَ حُسَيْنٌ مَعَ أُسْرَتِهِ الْعَاصِمَةَ،
وَشَاهَدَ مَعَهُمُ الْعَمَائِرَ الْمُرْتَفِعَةَ فِي شُمُوحٍ، الَّتِي تَبْهَرُ
الْعَيُونَ بِرَوْعَةِ تَصْمِيمِهَا، وتأخُذُ بِالْأَلْبَابِ بِدَقَّةٍ بِنَائِهَا..
وَرَأَى الْجَمِيعَ - أَيْضًا - أَنَّ هُنَاكَ الْأَلْفَ مِنَ النِّعَسَاءِ، لَا
يَجِدُونَ مَكَانًا يَسْكُنُونَ فِيهِ.. وَأَحَسَّ الْجَمِيعُ أَنَّ هَؤُلَاءِ
بِحَقٍّ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ مِنْ كُلِّ قَادِرٍ..
وَأَحَسَّ حُسَيْنٌ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ؛ بِصَوْتِ أُمِّهِ يَلْمَسُ بِرَفْقٍ
شَعُورًا تَدْفَقُ دَاخِلَهُ:

أَلَيْسَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَكُونَ مُهَنْدِسًا..؟

أَرَادَ حُسَيْنٌ أَنْ يَقُولَ لِأُمِّهِ؛ إِنَّهُ بِالْفِعْلِ يَوَدُّ أَنْ يَصْبِحَ
مُهَنْدِسًا، لِكَيْ يُعْنَى بِإِعْدَادِ الْمَأْوَى الْمُنَاسِبِ، لَهُؤُلَاءِ
النِّعَسَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ سَكَنًا، رَحْمَةً بِهِمْ، وَدَفْعًا لِأَلَامِ
النِّعَاسَةِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَرَسْمًا لِلابْتِسَامَةِ عَلَى شِفَاهِهِمْ..
ثُمَّ ابْتَسَمَ لِأُمِّهِ ابْتِسَامَةً رَائِعَةً، وَقَالَ:

سَوْفَ أَحَاوِلُ يَا أُمِّي أَنْ أَكُونَ مُهَنْدِسًا!

وَرَأَى حُسَيْنٌ يَعْمَلُ بِكُلِّ قُوَّةٍ، لِتَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ
النَّبِيلِ، فَتَفَوَّقَ فِي دِرَاسَتِهِ.. وَغَاصَ حُسَيْنٌ فِي بَحَارِ
الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ أَكْثَرَ، لِكَيْ يُصْبِحَ مُهَنْدِسًا.. ثُمَّ هَزَّتْ
مَشَاعِرَ وَالِدَتِهِ أُمْنِيَّةٌ جَدِيدَةٌ.. كَبِيرَةٌ.



فَقَدْ فَتَحَتِ الْأُمُّ عَيْنَيْهَا فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، لِتَجِدَ
خَبْرًا مُثِيرًا لِجَرِيْمَةِ سَرَقَةٍ، أَحَاطَتْ شُبُهَاتُهَا شَابًا طَيِّبًا اسْمُهُ
عَامِرٌ.. وَاعْتَقَدَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ أَنَّهُ مَرْتَكِبُهَا الْوَحِيدُ، لَوْلَا أَنْ
تَدَخَّلَتِ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ بِشَكْلِ مُدْهَشٍ، لَنَتَبَّتْ بَرَاءَةٌ هَذَا
الشَّابَّ الْمُسْكِينُ، وَتَكَشَّفَتِ الْحَقِيقَةُ قُوِيَّةً سَاطِعَةً عَلَى
الْمَلَأِ، فَقَدْ ارْتَكَبَ تِلْكَ الْجَرِيْمَةَ رَجُلٌ آخَرٌ احْتَرَفَ السَّرَقَةَ،
وَنَجَحَ فِي إِحْكَامِ خِيُوطِهَا حَوْلَ عَامِرٍ، لِيَكُونَ ضَحِيَّةً
لَأَطْمَاعِهِ وَإِجْرَامِهِ.. قَالَتِ الْأُمُّ لِحُسَيْنٍ:

كَمْ أَتَمَنَّى يَا حُسَيْنُ أَنْ تَكُونَ قَاضِيًا، لِتَكُونَ نَصِيرًا
لِلْمَظْلُومِينَ فِي شَتَّى بِقَاعِ الْأَرْضِ.

كَانَ حُسَيْنٌ لَا يَزَالُ مُتَأَثِّرًا بِقَضِيَّةِ عَامِرٍ، فَرَأَى مِنْ
 فَوْرِهِ أَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا، يُسَانِدُ
 الْمَظْلُومَ، وَيَقِفُ بِالْمِرْصَادِ لِكُلِّ طَاغٍ ظَالِمٍ، وَوَجَدَ حُسَيْنٌ
 فِي ذَلِكَ هَدَفًا سَامِيًا عَظِيمًا، يَجِبُ عَلَيْهِ تَحْقِيقُهُ بِكُلِّ مَا
 أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَرَاحَ يَصِلُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ، فِي عَمَلٍ
 دَعْوَبٍ وَاسْتِذْكَارٍ دَائِمٍ، لِكَيْ يَحَقِّقَ هَدَفَهُ الْمُنْشُودَ.



ثُمَّ تَوَقَّفَ حُسَيْنٌ أَمَامَ نَفْسِهِ فِي إِحْدَى اللَّحْظَاتِ،
 جَلَسَ يَفْكُرُ فِي أَمْرِهِ بَعْمَقٍ أَكْثَرَ وَوَضُوحٍ أَكْبَرَ: لَقَدْ تَمَنَّتْ
 وَالِدَتُهُ أَنْ يَكُونَ طَبِيبًا ثُمَّ مُهَنْدِسًا ثُمَّ قَاضِيًا.. وَ.. ثُمَّ
 مَاذَا أَيْضًا..؟! أَحَسَّ حُسَيْنٌ بِالْحَيْرَةِ.. مَاذَا يُمْكِنُهُ أَنْ
 يَفْعَلَ وَهُوَ يَرَى فِي كُلِّ مَجَالٍ مَنْ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى عِلْمِهِ
 وَمُسَاعَدَتِهِ..؟! فَمَاذَا يَكُونُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأُمْنِيَّاتِ وَمَاذَا
 لَا يَكُونُ..؟

بِالطَّبَعِ لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْأُمْنِيَّاتِ أُمْنِيَّاتَهُ هُوَ؛ لَمَا تَرَدَّدَ
 فِي تَفْضِيلِ وَاحِدَةٍ عَلَى الْأُخْرَيَيْنِ.. فَمَاذَا يَفْعَلُ الْآنَ
 وَهِيَ أُمْنِيَّاتُ أُمِّهِ الْغَالِيَةِ، الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْصِيَ



لَهَا أَمْرًا، وَلَا يَتَرَدَّدُ أَمَامَهَا فِي تَحْقِيقِ أُمْنِيَةِ خَطَرَتْ
بِبَالِهَا!

أَحَسَّ حُسَيْنٌ بِإِرْهَاقٍ مِنْ كَثْرَةِ التَّفَكِيرِ، فَقَرَّرَ أَنْ
يُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، لِيَقْضَى فِيهِ بِحُكْمَتِهِ، وَلَمْ يَنْسَ
فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ، تِلْكَ الْأُمْنِيَّاتِ الَّتِي طَافَتْ بِخِيَالِ
وَالِدَتِهِ يَوْمًا، وَتَمَنَّتْ أَنْ تَرَاهُ فِيهَا.. وَمَرَّتْ بِحُسَيْنِ
السَّنَوَاتِ.. ثُمَّ قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَمْرًا.. فَقَدْ دَفَعَهُ مُسْتَوَاهُ
الْعِلْمِي الرَّفِيعِ إِلَى دِرَاسَةِ عِلْمِ الْاِقْتِصَادِ السِّيَاسِيِّ،
وَالنُّبُوغِ فِي الْعُلُومِ التَّجَارِيَةِ بِشَكْلِ مُذْهِلٍ.. وَكَانَ أَنْ
تَفُوقَ فِي دِرَاسَتِهِ، وَسَرَّعَانَ مَا انْتَهَى مِنْهَا بِشَكْلِ دَفْعِهِ
إِلَى عَمَلِ دِرَاسَاتٍ عُلْيَا فِيهِمَا.. وَانْتَهَى مِنْهُمَا بِتَفُوقٍ.

وَدُعِيَ الدُّكْتُورُ حُسَيْنٌ إِلَى الْعَمَلِ فِي أَكْثَرِ مِنْ هَيْئَةٍ
مُخْتَصَّةٍ، وَيَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ تَفَرَّغَ لِلْعَمَلِ الْحُرِّ، وَحَقَّقَ
بِالْفِعْلِ نَجَاحًا بَاهِرًا فِيهِ.. ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ لِيَحَقِّقَ أُمْنِيَةَ
أُمِّهِ.. عَفْوًا.. أَقْصَدَ أُمْنِيَّاتِ أُمِّهِ.. فَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يَكُونَ
طَبِيبًا وَمُهَنْدِسًا وَقَاضِيًا فِي آنٍ وَاحِدٍ.. فَقَطْ لِأَنَّ أُمِّهِ
تَمَنَّتْ ذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ طِفْلًا.. وَبِالْفِعْلِ.. شَرَعَ الدُّكْتُورُ



حُسَيْنَ فِي إِقَامَةِ عِدَّةٍ مَشْرُوعَاتٍ لِمُسْتَشْفَيَاتٍ خَيْرِيَّةٍ،
تُقَدِّمُ الخِدْمَاتِ الْعِلَاجِيَّةَ لِلْمَرْضَى الْفُقَرَاءِ، ثُمَّ أُنْشِأَ شَرَكَةً
مَقَاوِلَاتٍ كُبْرَى، كَانَ هَدَفُهَا الْأَوَّلُ إِنْشَاءَ الْوَحَدَاتِ
السَّكْنِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ، لِلْبُؤْسَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَأْوَى مِنْ
أَبْنَاءِ وَطَنِهِ.. ثُمَّ كَانَ تَحْقِيقُهُ لِأُمْنِيَّةٍ وَالِدَتِهِ الثَّالِثَةِ..
صَحِيحٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا.. لَكِنَّهُ
تَطَوَّعَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ لِنَصْرَةِ الْمَظْلُومِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَإِنْ
كَلَّفَهُ ذَلِكَ الْكَثِيرَ.

بِكُلِّ هَذَا.. أَصْبَحَ الدُّكْتُورُ حُسَيْنٌ رَجُلًا عَظِيمًا..
بِفَضْلِ حُبِّهِ لِأُمِّهِ وَطَاعَتِهِ لَهَا.. حَتَّى فِي تَحْقِيقِ مَا خَطَرَ
بِأَلِهَا مِنْ أَحْلَامٍ!

بالحُبِّ ... تَحْلُوا الحَيَاةُ

كَانُوا ثَلَاثَةً زُمَلَاءٍ فِي بَدَايَةِ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ، جَمَعَهُمْ
تَقَارُبُ السِّنِّ فِي لِقَاءٍ وَحِيدٍ.. رُبَّمَا عَبَّرَ بِشَكْلِ وَاضِحٍ
عَنْ تِلْكَ الْمَسَافَةِ الشَّاسِعَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَهُمْ، فَقَدْ
كَانُوا مُخْتَلِفِينَ كُلَّ الْخْتِلَافِ، وَكَانَ اخْتِلَافُهُمْ مِنْ ذَلِكَ
النَّوعِ الَّذِي لَا يَفْسِدُ لِلوُدِّ قَضِيَّةً، حَيْثُ يَتَلَخَّصُ هَذَا
الْخِلَافُ فِي طَرِيقَةِ تَفْكِيرِ كُلِّ مِنْهُمْ؛ وَأَسْلُوبِ سُلُوكِهِ؛
وَنَظَرَتِهِ لِلْحَيَاةِ!

كَانَ أَوَّلُهُمْ (عِصَامَ)، يَبْدُو ذَكِيًّا لَمَاحًا؛ ذَا رَأْسٍ
حِسَابِي مُفَكِّرٍ، وَعَيْنِ مَادِيَّةِ النِّظَرَاتِ، وَقَلْبٍ يَنْبِضُ
بِأَحْلَامِ الثَّرَاءِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْاِمْتِلَاكِ.. تَتَدَفَّقُ دَاخِلُهُ
مَشَاعِرٌ قَدْ تَكُونُ بَارِدَةً وَأَحَاسِييسٌ بِلَا شَكٍّ حَائِرَةً!

أَمَّا الثَّانِي (عَلَاءٌ)، فَكَانَ قَوَى الْبُنْيَانِ مُفْتُولُ
الْعَصَلَاتِ طَوِيلُ الْقَامَةِ، تَبَرَّقُ عَيْنَاهُ بِبَرِيقِ غَامِضٍ مَلَأَهُ
الْعِنَادُ، يَغْلِي الدَّمُ فِي عُرْوَقِهِ غَضَبًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَسُخْطًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، تَقْوَدُهُ رَغْبَةٌ جَارِفَةٌ لِلْقِتَالِ..
يُحِبُّ الْجِدَالَ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْحَقُّ فِي جَانِبِهِ!

فِي حِينٍ كَانَ (عَمَرُو) - ثَالِثُهُمَا - عَلَى النَّقِيضِ
مِنْهُمَا تَمَامًا، هَادِيءِ الطَّبَاعِ طَيِّبِ الْقَلْبِ وَاثِقِ
النَّظَرَاتِ.. قَلِيلَ الْكَلَامِ كَثِيرَ التَّفَكِيرِ.. قَلَمًا يَصْدُرُ عَنْهُ
انْحِرَافٌ فِي قَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ، تَحْسُّ نَحْوَهُ بِأُلْفَةٍ غَرِيبَةٍ، حَتَّى
وَإِنْ قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَرَاهُ لَمَرَّةً وَاحِدَةً!

وَفِي هَذَا اللَّقَاءِ الْوَحِيدِ، كَانَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ؛ حَوْلَ
ذَلِكَ الشَّيْءِ السَّحَرِيِّ، الَّذِي تَحْلُو بِهِ الْحَيَاةُ وَتَزْدَهَرُ،
وَتُصْبِحُ جَنَّةً وَارِفَةً الظُّلَالِ دَانِيَةِ الثَّمَارِ.. وَجَاءَتْ
كَلِمَاتُهُمْ لَتُعَبَّرَ بِصِدْقٍ عَنْ أَسْلُوبِ كُلِّ مِنْهُمُ فِي التَّعَامُلِ
مَعَ الْحَيَاةِ، مَعَ مَلَاَحِظَةٍ أَنَّ كِلَا مِنْهُمُ يَنْجَحُ فِي حَيَاتِهِ؛
بِقُدْرِ إِيمَانِهِ بِمَبَادِيئِهِ وَتَمَسُّكِهِ بِهَا.. وَكَانَ (عِصَامُ) أَوَّلَ
الْمُتَحَدِّثِينَ.. فَقَالَ:

- شَيْءٌ وَاحِدٌ فَقَطْ.. يُمْكِنُ أَنْ تَحْلُو بِهِ الْحَيَاةُ..

انْتَجَهَتْ إِلَيْهِ عَيْنَا زَمِيلَيْهِ.. فَقَالَ (عِصَامُ):

- إِنَّهُ الْمَالُ.. الثَّرْوَةُ!

بَدَأَ عَدَمَ الرُّضَى جَلِيًّا عَلَى مَلَامِحِ الزَّمِيلَيْنِ.. فَوَاصِلَ

عِصَامُ:

- نَعَمْ إِنَّهُ الْمَالُ.. فَبِالْمَالِ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ

أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ، يَنَالُ أَيَّ شَيْءٍ.. بِالْمَالِ وَحْدَهُ

يُصْبِحُ الْإِنْسَانُ قَوِيًّا وَكَبِيرًا.. بَلْ وَعَظِيمًا!

ثُمَّ تَتَهَدَّى بِعُمُقٍ وَحَرَارَةٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ:

- هُوَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهُوَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ

قِتَالًا!

ثُمَّ أَطْلَقَ ضِحْكَةً قَوِيَّةً عَالِيَةً وَقَالَ:

- لِهَذَا.. سَوْفَ أَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِي.. أَعْمَلُ بِكُلِّ

طَاقَتِي لِتَحْقِيقِ هَذَا الطُّمُ الدَّهْبِيِّ!

فَجَاءَ صَوْتُ (عَلَاءَ) مُعْتَرِضًا:

- أَنْتَ مُخْطِئٌ يَا عَزِيزِي!

بَدَتْ الدَّهْشَةُ وَاضِحَةً عَلَى مَلَامِحِ (عِصَامِ) حَامِلَةً

سُؤَالَ..

فَقَالَ (عَلَاءُ):

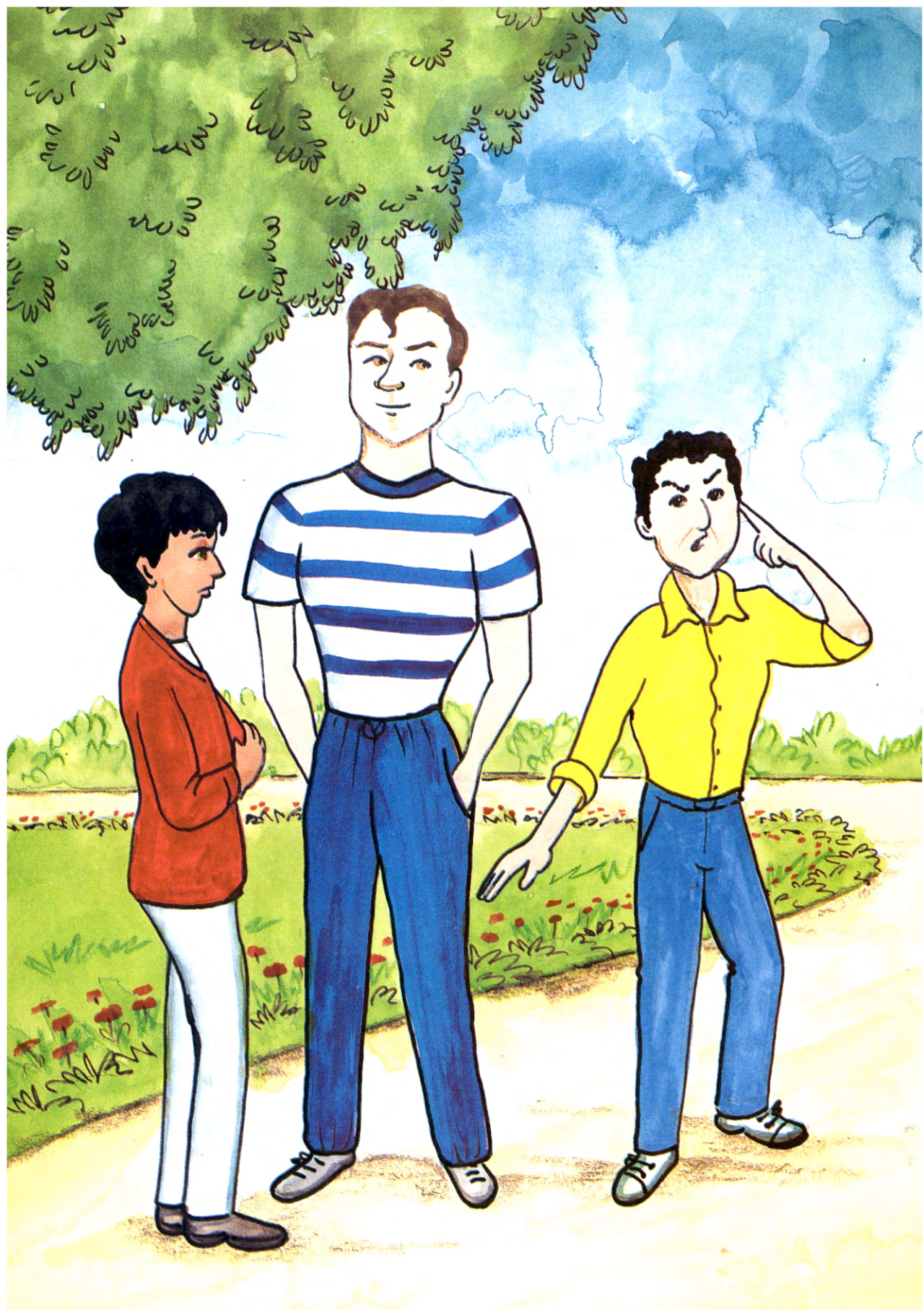
- الْمَالُ الَّذِي تَبَحْتُ عَنْهُ وَتَعْمَلُ لَهُ.. لَا يُصْبِحُ شَيْئًا
إِلَى جِوَارِ الْقُوَّةِ وَالسَّطَوَةِ وَالْجَبَرُوتِ.. فَمَا أُرْوَعُ الْحَيَاةَ
فِي ظِلِّ الْقُوَّةِ!

ثُمَّ تَأْمَلُ أَثَرَ كَلِمَاتِهِ عَلَى وَجْهِ زَمِيلِهِ وَهُوَ يَقُولُ:
- بِالْقُوَّةِ وَحْدَهَا.. يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ تَحْقِيقَ الْمُسْتَحِيلِ..
تَخْطِي الصَّعَابَ هَزِيمَةَ الْخَوْفِ.. مُطَارِدَةً الْوَهْمِ.. إِثْبَاتِ
الذَّاتِ!

ابْتَغَ (عَلَاءً) رِيقَهُ قَبْلَ أَنْ يُوَاصِلَ:

- الْإِنْسَانُ الْقَوِيُّ فَقَطْ.. هُوَ مَنْ يَعْيشُ!
ثُمَّ لَوْحَ بَقْبُضَتِهِ فِي الْمَوَاءِ مُهْدِدًا وَهُوَ يَقُولُ:
- لِهَذَا.. سَوْفَ أَصِلُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ فِي عَمَلٍ دَوُوبٍ
وَتَدْرِيبٍ مُتَّصِلٍ، لِكَيْ أَكُونَ قَوِيًّا.. مُهَابًا!

أَشَاحَ (عِصَامٌ) بَوَجْهِهِ عَنِ (عَلَاءٍ) فِي غَيْرِ اقْتِنَاعٍ،
وَكَانَ (عَمْرُو) صَامِتًا، وَكَانَ لِمَتِّهِ هَذَا مَعْنَى مُحَدَّدًا،
وَرَفُضًا وَاضِحًا لِتِلْكَ الْأَفْكَارِ؛ وَهَذَا الْأُسْلُوبُ الْخَاطِئُ
فِي مُوَاجَهَةِ الْحَيَاةِ؛ وَالتَّعَامُلِ فِي دُنْيَا الْبَشَرِ.. وَكَانَ
عَلَى (عَمْرُو) أَنْ يَتَحَدَّثَ بَعْدَ أَنْ طَالَ صَمْتُهُ، وَقَدْ جَاءَ



الدَّورُ عَلَيْهِ لِكَيْ يُدْلِيَ بِرَأْيِهِ، عَلَيْهِ يَحْسِمُ ذَلِكَ الْخِلَافَ
الَّذِي اشْتَغَلَ بَيْنَ الزَّمِيلَيْنِ.. فَقَالَ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ:
- كُلُّنَا نَحِبُّ الْمَالَ.. لَكِنْ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ لَا نَجْعَلَهُ
هَدَفًا لِحَيَاتِنَا؛ أَوْ غَايَةً نَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا، فَهُوَ مَجْرَدُ
وَسِيلَةٍ فَقَطْ؛ قَدْ يَسْهَلُ حَيَاتُنَا.. وَقَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي
شَقَائِنَا!

صَمَتَ (عِصَامٌ) غَضَبًا.. فَوَاصَلَ (عَمْرُو):
- كَذَلِكَ الْقُوَّةُ.. لَا يُمْكِنُ لَنَا بِأَيِّ حَالٍ أَنْ نَجْعَلَ مِنْهَا
غَايَةً.. فَنَحْنُ لَا نَعِيشُ فِي غَابَةِ يَسُودُهَا الْوُحُوشُ..
وَأِنْ كُنَّا نَحْتَاجُ فِي حَيَاتِنَا إِلَى بَعْضِ الْقُوَّةِ!
تَدَفَّقَ الدَّمُ إِلَى وَجَّتَيْ (عَلَاءَ) حَقًّا.. فَقَالَ سَاخِرًا:
- مَاذَا تَقْصِدُ..
فَقَالَ (عَمْرُو):

- أَقْصِدُ أَنْ الْحَيَاةَ لَا تَحْلُو بِالْمَالِ وَحْدَهُ..
أَوْ بِالْقُوَّةِ وَحْدَهَا.. لَكِنَّمَا تَحْلُو بِشَيْءٍ أَكْثَرُ مِنْهُمَا
وَأَسْمَى!

جَاءَ صَوْتُ (عِصَامٍ) فِي دَهْشَةٍ:

- أَىُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنَ الْمَالِ..؟

وَسَأَلَ (عَلَاءً) فِي تَحَدٍّ:

- وَأَىُّ شَيْءٍ أَسْمَى مِنَ الْقُوَّةِ..؟

فَقَالَ (عَمْرُو) فِي قُوَّةٍ:

- الْحُبُّ؟

لَمْ يُجِبِ الزَّمِيلَانِ بِحَرْفٍ، صَمَتًا لِلْحِظَاتِ، ثُمَّ انفَجَرَا
فِي ضَحِكٍ هَسْتِيرِي سَاخِرٍ.. بَيْنَمَا جَاءَ صَوْتُ (عَمْرُو)
أَشَدَّ هُدُوءًا وَثِقَةً بِالنَّفْسِ:

- نَعَمْ أَيُّهَا الزَّمِيلَانِ.. بِالْحُبِّ وَحْدَهُ تَحْلُو الْحَيَاةُ!

صَمَتَ (عِصَامٌ) وَ (عَلَاءٌ) بَعْدَ أَنْ تَعَبَا مِنْ كَثْرَةِ
الضَّحِكِ.. ثُمَّ انْسَابَ صَوْتُ (عَمْرُو) عَذْبًا نَدِيًّا:

- وَالْحُبُّ الَّذِي أَعْرِفُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَعْمَلُ لَهُ: هُوَ أَنْ
أَفْتَحَ قَلْبِي لِلْجَمِيعِ، أَحِبُّ الْجَمِيعَ أُنْعَاوْنُ مَعَ الْجَمِيعِ
أَخْلِصُ لِلْجَمِيعِ.. لَا أَكْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ.

جَاءَ صَوْتُ (عَلَاءً) ضَاحِكًا عَنِيدًا:

- وَمَاذَا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَحِبُّ..؟

فَوَاصَلَ (عَمْرُو):

- أَعْرِفْ جَيِّدًا أَنَّ طَرِيقَ الْحُبِّ طَرِيقٌ صَعْبٌ شَاقٌّ..
وَأَنَّهُ يَتَطَلَّبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْجُهْدِ وَالْكَثِيرَ مِنَ الْعَرَقِ وَالْكَثِيرَ
مِنَ الْعَطَاءِ وَالْكَثِيرَ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالْكَثِيرَ مِنَ الْعَمَلِ؛ فِي
مَجَالِ أَحِبِّهِ وَأَعَشَقْهُ وَأَرْغَبْ فِي التَّفَوُّقِ فِيهِ.. مَعَ التَّسَلُّحِ
بِسِلَاحِ اسْمِهِ الصَّبْرِ؛ حَتَّى يُمْكِنُنِي تَخَطِّي مَا يُوَاجِهُنِي مِنْ
مَشْكَلاتٍ وَمُعَانَاةٍ وَتَعَبٍ!

بَدَأَ عَلَى الزَّمِيلَيْنِ عَدَمُ الرِّضَا، وَقَدْ يَكُونَانِ رَفَضًا
بِشِدَّةٍ الْاِقْتِنَاعَ بِكَلِمَاتِ (عَمْرُو).. جَاءَ صَوْتُ (عَصَامٍ) قَائِلًا:
- أَنْتَ غَيْرُ خَبِيرٍ بِالْحَيَاةِ.. تَنْظُرُ إِلَيْهَا بَعَيْنِ الشَّاعِرِ
الْحَالِمِ.. بَلْ وَالْوَاهِمِ أَيْضًا!

وَقَالَ (عَلَاءٌ) فِي إِصْرَارٍ:

- بِالْقُوَّةِ وَحَدِّهَا يُحَقِّقُ الْإِنْسَانُ مَا يُرِيدُ.. هِيَ الَّتِي
تَأْتِيهِ بِالْمَالِ.. وَتَحَقِّقُ لَهُ السِّيَادَةَ وَالسُّلْطَانَ!
وَعَادَ (عَمْرُو) إِلَى صَمْتِهِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ هِيَ النِّهَايَةُ، فِي ذَلِكَ اللَّقَاءِ
الْوَحِيدِ الْيَتِيمِ.. لِكَيْ يَنْصَرِفَ الزَّمَلَاءُ الثَّلَاثَةُ كُلٌّ فِي
طَرِيقٍ مُخْتَلَفٍ.. وَلَعَلَّ هَذَا اللَّقَاءَ الْوَحِيدَ، قَدْ تَرَكَ دَاخِلَ

نفس كل واحد منهم؛ انطبأً ذا شكلٍ مُتخلفٍ.. بنفس
القدر الذى اختلفت فيه نظرتهُم للحياة!

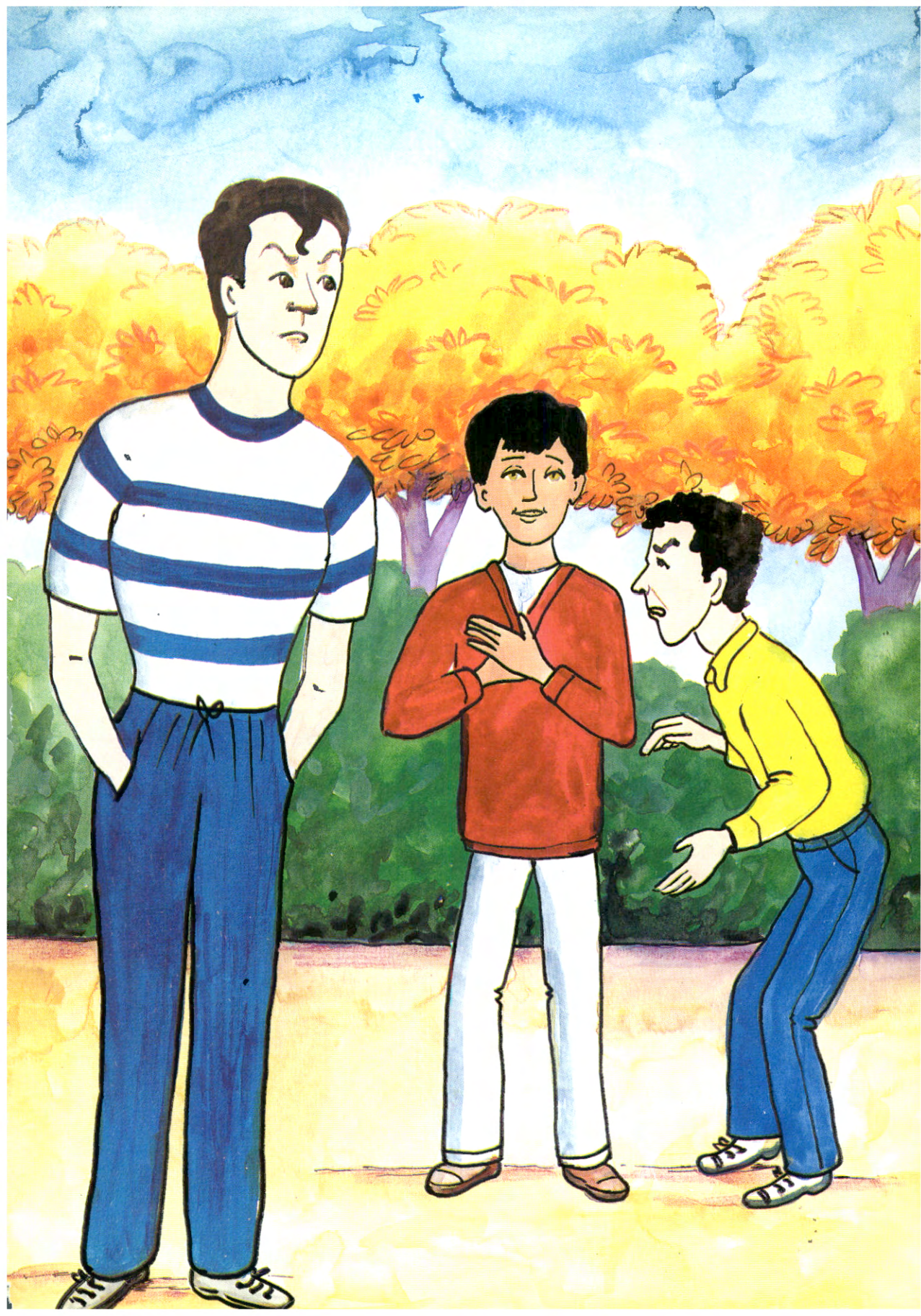
ومرت الأيام.. وتعاقت السنوات.

وغاص الزملاء الثلاثة فى معترك الحياة، وسار كل
منهم فى طريق أحبه؛ وخطط للسير فيه؛ ووطن نفسه
على تحمل مشاقه ومتاعبه، واجتهد فى الوصول إلى
نهايته، لينال - كما يعتقِد - الثمرة، التى ظن أنها
بانتظاره وحده.

فقد عمل (عصام) للمال وحده.. بعد أن أحبه دون
غيره، وظن أن فيه سعادته ونجاته، فاجتهد فى جمعه
بأية طريقة ومن أى سبيل!

وكذلك عمل (علاء)، كل ما يستطيع إنسان أن
يعمل؛ فى سبيل الحصول على القوة.. لأنه أحبها حباً
ملك عليه زمان نفسه، فلم ير غيرها سبيلاً للتفوق
والسعادة والسيادة!

بينما ظل (عمرو) على يقينه الراسخ بالحب،
الذى يؤمن به.. ويحلم بأن يراه حاكماً: يجمع
شئات المتفرقين؛ ويربط بين قلوب المختلفين..



فَعَمَلَ طَوَالَ حَيَاتِهِ لِهَذَا الْحُبِّ.. حَتَّى بَلَغَ مِنْ هَذَا
الطَّرِيقِ مُنْتَهَاهُ..!

ثُمَّ كَانَتْ النِّهَايَةُ.. الَّتِي خَطَّهَا كُلُّ مِنَ الزَّمَلَاءِ
الثَّلَاثَةِ بِيَدِهِ!

لَقَدْ فَشَلَ (عَصَام) فِي مُوَاصَلَةِ حَيَاتِهِ.
لَأَنَّهُ أَحَبَّ الْمَالَ وَحَدَّهُ، وَتَعَجَّلَ جَمْعَهُ.. فَأَكْسَبَهُ ذَلِكَ
طَمَعًا وَجَشَعًا أَبْعَدَا النَّاسَ عَنْهُ.. وَكَانَتْ نِهَائِيَّتُهُ.. عِنْدَمَا
قُبِضَ عَلَيْهِ مُتَلَبِّسًا، بَعْدَ أَنْ احْتَالَ عَلَى أَحَدِ الْبُنُوكِ
التِّجَارِيَّةِ الْكُبْرَى، فَحَصَلَ عَلَى مَبْلَغٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ بِدُونِ
وَجْهِ حَقٍّ.. وَانْتَهَى بِهِ الْحَالُ سَجِينًا مُحْطَمًا.. لَا يَصْلُحُ
لِشَيْءٍ.

وَكَذَلِكَ أَحَبُّ (عَلَاء) الْقُوَّةَ وَحَدَّهَا.. فَأَكْسَبَتْهُ عُدْوَانِيَّةً
وَتَسَلُّطًا إِلَى جَوَارِهَا.. فَتَعَجَّلَ تَحْقِيقَ الْقُوَّةِ.. حَتَّى ضَبُطَ
مُتَعَاظِيًا لِبَعْضِ الْمُنَشَّطَاتِ فِي أُولُمْبِيَادٍ شَهِيرٍ، فَعُوقِبَ
بِشَطْبِ اسْمِهِ مِنْ سِجْلِ الرِّيَاضِيِّينَ الْأَقْوِيَاءِ، وَعَادَ أَخِيرًا
مُحْطَمًا مَهْزُومًا.. لَا يَلُوى عَلَى شَيْءٍ.

وَهَكَذَا.. وَقَعَ الزَّمِيلَانِ فِي خَطَأٍ قَاتِلٍ،
كَانَتْ خَسَارَتُهُمَا بِسَبَبِهِ فَادِحَةً.. وَلَكِنْ لَا بَأْسَ..

فَمَا تَزَالُ الْفُرْصَةُ أَمَامَهُمَا لِلْبَدْءِ مِنْ جَدِيدٍ.. خَاصَّةً
وَأَنَّهُمَا تَعْلَمَانِ جَيِّدًا مِنْ تِلْكَ الْمَحَنَةِ، فَعَرَفَا الطَّرِيقَ
الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِمَا السَّيْرَ فِيهِ..

طَرِيقُ السَّعَادَةِ.. الَّذِي تَحْلُو بِهِ الْحَيَاةُ.

ذَلِكَ الطَّرِيقَ الَّذِي ابْتَعَدَا عَنْهُ بِقَدَمَيْهِمَا، وَنَجَحَ
(عَمَرُو) فِي اكْتِشَافِهِ مِنْذُ وَقْتٍ مُبَكِّرٍ، سَارَ فِيهِ حَتَّى
النَّهَايَةِ.. فَحَقَّقَ بِهِ الْمَالَ الْوَفِيرَ وَالْمَرْكَزَ الْمَرْمُوقَ..
وَالْقُوَّةَ!



أصدقاء الوهر الجريد

أحمد.. أسامة.. وليد.. عماد؛ أربعة أولادٍ قلَّ ما
يفترقون.. لأنهم أحبوا بعضهم حباً رائعاً، يسمو فوق
كل غاية؛ يعلو فوق كل مصلحة، ألفت الصداقة بين
قلوبهم.. حتى أصبحوا كياناً واحداً وروحاً واحدة.. في
أربعة أجساد!

في كل يوم يلتقون أمام بوابة المدرسة، يتجاذبون
أطراف الحديث، يتبادلون الابتسامات.. يدخلون إلى
الفصل الدراسي الذي يجمعهم؛ لتبدأ بينهم منافسة
شريفة في تحصيل الدروس.. يعرف كل منهم أن
لِلصداقة حق لا ينبغي التكاثر عنه أو التفریط فيه.

يوماً.. أعلنت إدارة المدرسة عن رحلة إلى مدينة
أسوان، ستقوم بها خلال أيام؛ للتعرف عن قرب على

آثَارِ أَجْدَادِنَا الْفَرَاعِنَةِ، وَحَدَّدَتْ فِيهِ بِالْفِعْلِ قِيَمَةَ رِسْومِ
الاشْتِرَاكِ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ، وَالتِّي كَانَتْ كَبِيرَةً إِلَى حَدِّ
مَا، لِبَعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَأَسْوَانَ.

اسْتَعَدَّ أَحْمَدُ بِفَرَحٍ لِلِاشْتِرَاكِ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ، وَأَبْدَى
أَسَامَةَ سُرُورِهِ بِهَا، فَهُوَ يَعْشَقُ مِثْلَ هَذَا النُّوعِ مِنَ
الرَّحَلَاتِ.. وَاسْتَعَدَّ مَعَهُمَا وَلِيدٌ بِحِمَاسٍ.. فِي حِينِ كَانَ
عِمَادٌ وَاقِعًا فِي بَحْرِ لَاشْطَانٍ لَهُ مِنَ الْحَيْرَةِ، فَقَدْ كَانَ
وَالِدُهُ يَمُرُّ بِظُرُوفٍ مَالِيَّةٍ صَعْبَةٍ، وَلَمْ يَبْدِ رَغْبَةً فِي
الاشْتِرَاكِ فِيهَا، حَتَّى لَا يَتَسَبَّبَ فِي إِضَافَةِ أَعْبَاءٍ جَدِيدَةٍ
عَلَى وَالِدِهِ، فَلَمْ يَظْهَرْ تَرْحِيًّا بِهَذِهِ الرَّحْلَةِ!

أَحْسَ الْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةُ بِحَيْرَةِ عِمَادِ.

لِذَلِكَ تَسَاءَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: لِمَاذَا يَرْفُضُ عِمَادُ
الاشْتِرَاكَ فِي الرَّحْلَةِ..؟! ثُمَّ اجْتَهَدَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي تَصَوُّرِ
إِجَابَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ لِهَذَا السُّؤَالِ، قَالُوا: قَدْ يَكُونُ السَّبَبُ
مَادِّيًّا؛ وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ سَبَبٌ آخَرُ؛ وَفِي كُلِّ الظُّرُوفِ
يَجِبُ عَلَيْنَا مَسَاعَدَتَهُ؛ وَالْوُقُوفَ إِلَى جِوَارِهِ.. فَرَاخُوا
يَفْكُرُونَ فِي أَفْضَلِ طَرِيقَةٍ يُمْكِنُهُمْ بِهَا مَسَاعَدَتَهُ، بِدُونِ
أَنْ يَجْرَحُوا كَرَامَتَهُ!

وبعد تفكير، توصل أسامة إلى فكرة.. فقال:

- نقوم بجمع قيمة اشتراك عماد في الرحلة من بعضنا.. ثم نذهب إلى الأخصائي الاجتماعي، ونقنعه بضرورة إعلان المدرسة عن مسابقة ثقافية، تكون جائزتها السفر إلى أسوان بلا رسوم.. ونقوم جميعاً بالاشتراك في المسابقة.. لكي نتعمد الإجابة الخاطئة على أسئلتها.. حتى يفوز عماد ويسافر معنا إلى أسوان دون أن يكلف والده مزيداً من الأعباء!

فكر الأصدقاء قليلاً.. ثم قال وليد:

- هذه فكرة ساذجة جداً..

جاء صوت أسامة بشيء من الغضب:

- ساذجة..؟ لماذا يا وليد..؟

فقال وليد بهدوء:

- لعدة أسباب: أولها أن هذه الفكرة قد تقابل بالرفض من إدارة المدرسة.. وهذا.. سيكون محزناً جداً لنا.. لأننا سنكون قد أفشيناً سر صديقنا العزيز عماد أمام الأستاذ الأخصائي!

وقال أحمد بعد فترة صمت:

- وثانى هذه الأسباب؛ هو أن هذه المسابقة عندما
تعلن عنها إدارة المدرسة؛ ستصبح مسابقة عامة يحق
لجميع التلاميذ الاشتراك فيها، وبذلك لن يقتصر الأمر
علينا نحن الأربعة فقط.. وهكذا تصبح فرصة فوز
صديقنا عماد بها ضئيلة جداً.

فصمت أسامة حزيناً.. ثم قال:

- وما العمل إذن.. لابد أن نجد وسيلة نساعد بها
عماداً!

فقال وليد وهو يضرب الهواء بيده بقوة:

- لو أحسن التفكير.. لوجدنا تلك الوسيلة!

قام أحمد ليدور في المكان مفكراً، بينما توقف
أسامة ليتأمل بعض اللوحات التعليمية، التي علقت على
حائط الفصل الدراسي، في حين وأصل وليد ضربه
للمنضدة بشكل خفيف ورثم منتظماً..

وفجأة!

توقف أحمد في مكانه قائلاً:

- أعتقد أنني وجدت تلك الوسيلة!

نظر إليه الصديقان بفرحة.. فواصل:



- إِنَّهَا فِكْرَةٌ بَسِيطَةٌ جِدًّا.. اقْتَرَبَا مِنِّي.. سَوْفَ
أُشْرَحُهَا لَكُمَا.

وَسُرْعَانَ مَا اقْتَرَبَا مِنْهُ، فَهَمَسَ لَهَا بَعْدَ كَلِمَاتٍ،
فَهَمَا مِنْ خِلَالِهَا أَبْعَادَ الْفِكْرَةِ كُلِّهَا.. ثُمَّ تَبَادَلَا
الابْتِسَامَاتِ فِي سَعَادَةٍ وَرِضَا.. ثُمَّ دَخَلَ عِمَادٌ إِلَى
الْفَصْلِ، بَدَتْ عَلَى مَلَامِحِهِ سَحَابَةٌ مِنَ الْحُزْنِ الدَّفِينِ،
قَالَ عِمَادٌ بِصَوْتٍ كَافَحٍ كَثِيرًا حَتَّى لَا يَكُونَ حَزِينًا:

- مَاذَا تَفْعَلُونَ هُنَا..؟ وَمَا الَّذِي شَغَلَكُمْ عَنِ اللَّعْبِ
أَثْنَاءَ الْفَسْحَةِ..؟

جَاءَ صَوْتُ وَلِيدٍ سَعِيدًا مُبْتَسِمًا:

- لَا شَيْءَ.. لَا شَيْءَ يَا عِمَادُ.

كَانَ عِمَادٌ يَبْدُو مَرْهَقًا.. مُتَعَبًا.. وَكَانَ إِحْسَاسُ
الْأَصْدِقَاءِ الثَّلَاثَةِ بِهِ عَظِيمًا، أَحَسُّوا بِهِ وَهُوَ يَجْتَهِدُ بِكُلِّ
قُوَّتِهِ لِكَيْ يَبْدُو أَمَامَهُمْ طَبِيعِيًّا.. أَشْفَقُوا عَلَيْهِ بِقُوَّةٍ،
قَالَ أَحْمَدُ مُحَاوَلًا تَغْيِيرَ مَجْرَى الْحَدِيثِ:

- مَا رَأَيْكَ فِي رِحْلَةِ أُسْوَانَ يَا عِمَادُ..؟

فَقَالَ عِمَادٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْارْتِبَاكِ:

- رَحْلَةً أُسْوَانًا؟ رَحْلَةً رَائِعَةً فِعْلًا.. سَوْفَ يَتَعَرَّفُ
مَنْ يَقُومُونَ بِهَا؛ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ آثَارِ أَجْدَادِنَا الْعِظَمَاءِ..
ثُمَّ صَمَتَ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَقُولَ:
- كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَصْحَبَكُمْ خِلَالَهَا.. لَكِنْ..
سَأَلَ وَلِيدٌ بِسُرْعَةٍ:

- لَكِنْ مَاذَا يَا عِمَادُ..؟
ابْتَلَعَ عِمَادُ رِيْقَهُ، حَمَلَقَ بَعَيْنَيْهِ مِنْ خِلَالِ نَافِذَةِ
الْفَصْلِ الْوَاسِعَةِ.. لِيَتَأَمَّلَ فُضَاءً لَا نِهَآيَةَ لَهَا.. قَالَ:
- أَعْتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ مَا يَشْغَلُنِي هَذِهِ الْأَيَّامُ.. هُنَاكَ
أَيْضًا.. مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقِيَامِ بِأَيَّةِ رَحَلَاتٍ!
صَمَتَ وَلِيدٌ.. وَلَمْ يَجِدْ أَسَآمَةً مَا يَقُولُهُ.. فِي حِينٍ
قَالَ أَحْمَدُ وَهُوَ يَرْقُبُ عِمَادَ بَحْبٍ:
- لَنْ نَذْهَبَ بِدُونِكَ يَا عِمَادُ!

وَكَانَ جَرَسُ الْفُسْحَةِ قَدْ دَقَّ لَتَوِّهِ، مُؤَذِّنًا بِانْتِهَاءِ
دَقَائِقِ الْفُسْحَةِ الْمَعْدُودَةِ، وَضُرُورَةِ عَوْدَةِ جَمِيعِ التَّلَامِيذِ
إِلَى مَقَاعِدِهِمْ.. وَسَرَّعَانَ مَا عَادُوا.. فَصَمَتَ أَحْمَدُ بَعْدَ أَنْ
تَلَقَّى مِنْ عِمَادٍ نَظْرَةً شُكْرٍ.. أَحْسَنَ أَحْمَدُ مِنْ خِلَالِهَا، بِأَنَّ

لِعِمَادَ حَقٍّ عَلَيْهِ كَصَدِيقٍ يَعْيشُ مَحَنَةً، لَكِنْ.. لَمْ يَكُنْ
أَمَامَهُ سَبِيلٌ؛ سِوَى الْإِنْتِظَارِ حَتَّى يَنْتَهَى الْيَوْمُ الدَّرَاسِيُّ،
الَّذِي أَحَسَّ بِهِ الْيَوْمَ طَوِيلٌ جِدًّا؛ عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ!

إِحْسَاسٌ آخَرٌ قَوِيٌّ، غَمَرَ وَلِيدًا بِشِدَّةٍ.. أَثَاءَ خُرُوجِهِ مَعَ
أَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ؛ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي قَضَى بِهَا أَجْمَلَ
سَنَوَاتِ دِرَاسَتِهِ.. لَقَدْ أَحَسَّ وَلِيدٌ بِقَلْبِهِ يَنْبِضُ فِي
حُبٍّ؛ يَرْقُصُ طَرَبًا وَفَرَحًا، وَقَدْ أَحَسَّ أَنَّهُ يُسَاهِمُ بِجَنِيهَاتٍ
قَلِيلَةٍ، فِي دَفْعِ سَحَابَةٍ كَثِيبَةٍ مِنَ الْحُزَنِ، اعْتَرَضَتْ سَبِيلَ
أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ.. فَتَسَلَّلَ إِلَى جِوَارِ أَحْمَدَ فِي
هَدُوءٍ، حَيْثُ دَسَّ مَظْرُوفًا صَغِيرًا؛ كَانَ يَحْوِي جَنِيهَاتِهِ
الْقَلِيلَةَ، فِي جَيْبِ صَدِيقِهِ أَحْمَدَ، بَعْدَ أَنْ شَاهَدَ صَدِيقَهُ
أَسَامَةَ يَفْعَلُ نَفْسَ الشَّيْءِ، بَعْدَ ذَلِكَ.. اسْتَأْذَنَ أَحْمَدُ فِي
أَنْ يَسْبِقَ أَصْدِقَاءَهُ، لِمَظْرُوفٍ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا طَارِئَةٌ..

وَكَانَ عَلَى أَحْمَدَ أَنْ يَتَجَهَّ بِسُرْعَةٍ؛ إِلَى طَرِيقٍ يَعْرِفُ
جَيِّدًا أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى بَيْتِ عِمَادَ.. تَحَفُّهُ الْأَشْجَارُ الضَّخْمَةُ
الْوَارِفَةُ الظِّلَالِ.. يَدْرِكُ تَمَامًا أَنَّ عِمَادَ سَيَمُرُّ مِنْ هُنَا
حَتْمًا.. تَأَمَّلَ شَجَرَةً غَلِيظَةً اخْتَارَهَا بِعِنَايَةٍ، سَتَمَكَّنَهُ بِكُلِّ

تَأْكِيدٍ مِنْ تَتْفِيدِ فِكْرَتِهِ.. سَارَعَ بِصُعُودِهَا.. بَدَأَ لِمَنْ
يَرَاهُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ أَنَّهُ وَلَدٌ شَقِيٌّ يَهْوَى تَسْلُقَ
الْأَشْجَارَ بِلَهْوٍ!

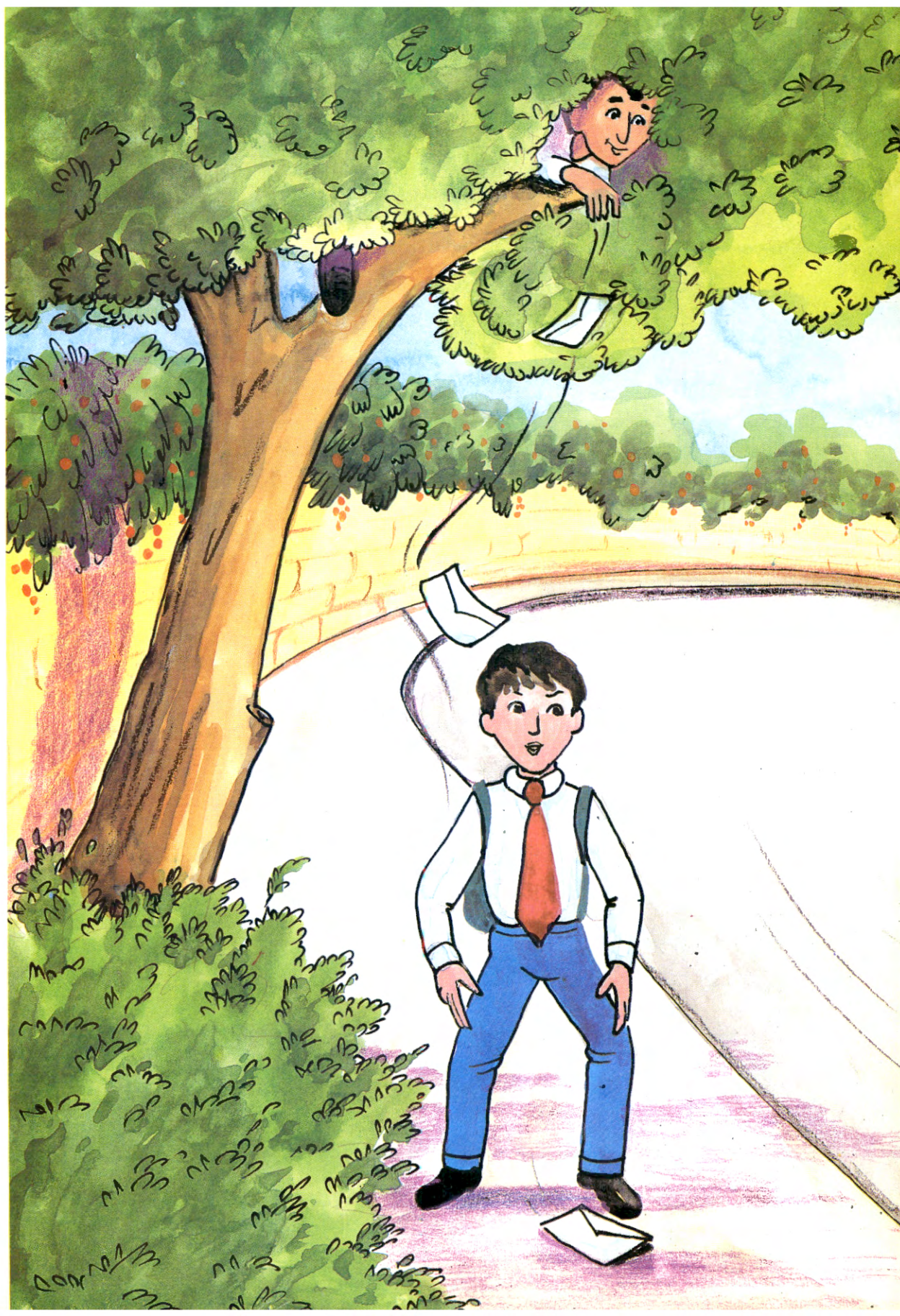
فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ بِالضَّبْطِ.. كَانَ عِمَادٌ يُوَدِّعُ وَلِيدًا
وَأَسَامَةَ عِنْدَ أَوَّلِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، الَّذِي تَحْفَهُ الْأَشْجَارُ
الْكَبِيرَةُ وَارِفَةُ الظَّلَالِ.. رَبَّمَا لَمْ يَلْحَظْ أَيًّا مِنْهُمَا، أَنَّ
هَنَّاكَ سَحَابَةً حَزْنٍ دَفِينٍ مَا تَزَالُ تَرْتَسِمُ عَلَى مَلَامِحِهِ!



عَيْنَا أَحْمَدَ تَرْقُبَانِ الطَّرِيقَ مِنْ خِلَالِ الْأَغْصَانِ
الْكثِيفَةِ، يَرَى عِمَادَ يَقْتَرِبُ، يَجْهَزُ الْمَظَارِيفَ الثَّلَاثَةَ فِي
يَدِهِ، يَقْتَرِبُ عِمَادُ تَمَامًا مِنَ الشَّجَرَةِ، فَيُلْقِي أَحْمَدُ
الْمَظَارِيفَ الثَّلَاثَةَ فَوْقَ رَأْسِ عِمَادٍ.. الَّذِي يَتَوَقَّفُ مَكَانَهُ
فِي دَهْشَةٍ:

- مَا هَذَا..؟

كَلِمَتَانِ قَالَهُمَا عِمَادٌ فِي دَهْشَةٍ وَعَجَبٍ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ
فِي يَدِهِ ثَلَاثَةَ مَظَارِيفَ تَحْوِي نَقُودًا، يَبْلُغُ مَجْمُوعُهَا نَفْسَ
الْمَبْلُغِ؛ الَّذِي أَعْلَنْتْ عَنْهُ إِدَارَةُ الْمَدْرَسَةِ، كَرَسُومٍ لِرَحْلَةِ
أُسْوَانَ.. تِلْكَ كَانَتْ فِكْرَةُ أَحْمَدَ، لَمْ تَعْبُرْ عَنْ سَدَاجَةِ



بِنَفْسِ الْقَدْرِ الَّذِي عَبَّرَتْ فِيهِ عَنْ بَرَاءَةٍ وَطَهَارَةٍ.. لَمْ
تُتْبِئْ عَنْ فَاعِلِهَا وَصَدِيقِيهِ، وَإِنْ أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ!
دَقَّقَ عِمَادُ النَّظَرِ عَبْرَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا
لِكثَافَةِ الْأَغْصَانِ وَتَشَابُكِهَا.. ابْتَسَمَ فِي أَلَمٍ أَوَّلًا.. ثُمَّ
نَجَحَ أَخِيرًا فِي أَنْ يَتَجَاوَزَ حَدَّ الْأَلَمِ، لِيَبْتَسِمَ الْآنَ فِي
سَعَادَةٍ وَفَرَحٍ.
لَقَدْ أَحْسَّ أَخِيرًا بِأَصْدِقَاءِ عَمْرِهِ.. ازْدَادَ قَلْبُهُ نَبْضًا
بِحُبِّهِمْ.

لِذَلِكَ قَرَّرَ أَنْ يَشْتَرِكَ فِي رَحْلَةِ أَسْوَانَ.
رَمَقَ الْمَظَارِيفَ الثَّلَاثَةَ بِحُبٍّ، وَقَدْ غَادَرَتْ مَلَامِحُهُ تِلْكَ
السَّحَابَةَ مِنَ الْحُزْنِ الدَّفِينِ.
وَاصَلَ عِمَادُ خُطَوَاتِهِ نَحْوَ بَيْتِهِ، لَمْ يَلْتَفِتْ وَرَاءَهُ لَكَيْ
يَرَى ذَلِكَ الصَّدِيقَ؛ الَّذِي عَانَى كَثِيرًا لِيَهْبِطَ مِنْ فَوْقِ
الشَّجَرَةِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِذَلِكَ.. كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ
آخَرَ.

كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَلْتَقِيَ بِأَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ.. لِذَلِكَ
تَمَنَّى مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ أَنْ يَمُرَّ الْوَقْتُ بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ، حَتَّى
يَأْتِيَ الصَّبَاحُ.. وَيَذْهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ.

سوف تشرق شمسُ اليومِ التَّالِيِ بلا شكَّ.
 رَبِّمَا لَتُؤَكِّدَ لِلْجَمِيعِ؛ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تَمْطِرُ ذَهَبًا وَلَا
 فِضَّةً.. وَلَا تَسْقُطِ مِظَارِيفُ تَحْوِي نُقُودًا.. وَلَكِنَّ مَنْ
 يَدْرِي.. رَبِّمَا يَأْتِي يَوْمٌ وَتَفْعَلُ ذَلِكَ، مَعَ أَصْدِقَاءَ بِنَفْسِ
 بَرَاءَةٍ وَطَهَارَةٍ أَحْمَدَ.. وَأَسَامَةَ.. وَوَلِيدَ.. وَعَمَادًا!



المقائل البطل

عندما نجح في أول سنة دراسية له، قرّر والده أن يقدم له هدية، وطالبه باختيار هدية مناسبة.. لم يحتر حسام كثيراً.. فقد اشتاقت نفسه لهدية بعينها، كانت (بذلة) عسكرية أنيقة، تحمل شارات ونجوم (رتبة نقيب)، رآها خلف واجهة زجاجة لمحل معروف، اشتهر بتصنيع وبيع ملابس الأطفال.

ولم يجد الأب معاناة كبيرة؛ في تحقيق أمنية ابنه الصغير، كان تاجراً متوسط الحال، فقد مها له في لفافة لطيفة.. سرعان ما فتحها، وارتمى حسام (البذلة) الأنيقة.. وكانت سعادته بها عظيمة، خاصة بعد أن رأى نظرات الدهشة والإعجاب؛ في عيون كل

أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، الَّذِينَ أَقْسَمُوا جَمِيعًا: أَنْ حُسَامًا لَمْ يَخْلُقْ
إِلَّا لِلْحَيَاةِ الْعَسْكَرِيَّةِ!

لَمْ يَشْعُرْ حُسَامُ أَيَّامَهَا؛ أَنْ (لِلبَدَلَةِ) الْعَسْكَرِيَّةِ ذَلِكَ
الرَّوْنَقِ وَتِلْكَ الْجَاذِبِيَّةَ.. بَلْ لَمْ يَشْعُرْ أَنَّهَا تَحْمِلُ فِي
طَيِّبَاتِهَا لُغْزًا صَعْبًا.. أَوْ مَعَادَلَةً مَعْقَدَةً لَا بُدَّ مِنْ حَلِّهَا
أَوَّلًا، قَبْلَ أَنْ تَرْتَبِطَ نَفْسُهُ وَرُوحُهُ بِتِلْكَ (الْبَدَلَةِ)، الَّتِي
تَعْنِي انضِبَاطًا وَانْتِظَامًا وَوَاجِبًا لَا بُدَّ أَنْ يُوَدَّى!

وَعِنْدَمَا نَجَحَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، أَثَرَ حُسَامُ أَنْ يَشْتَرِيَ
لَهُ وَالِدُهُ هَدِيَّةً جَدِيدَةً.. كَانَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْكُتُبِ، الَّتِي
تَحْكِي قِصَصَ الْمُقَاتِلِينَ الْأَبْطَالِ، فِي أَسْلُوبٍ مَبْسُوطٍ جَدًّا
تُنَاسِبُ سَنَهُ، أَحَسَّ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ لِاقْتِنَائِهَا، لِيَكْمَلَ لِنَفْسِهِ
شَكْلَ الْمُقَاتِلِ الشَّجَاعِ، الَّذِي لَا يَخَافُ الْمَخَاطِرَ وَلَا يَأْبَهُ
بِالصَّعَابِ.. ثُمَّ اكْتَشَفَ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَشْيَاءَ
أُخْرَى كَثِيرَةً:

وَكَانَ أَوَّلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ هُوَ أَنْ يَعْرِفَ لِمَاذَا يُرِيدُ أَنْ
يُصْبِحَ مُقَاتِلًا..؟ أَتَرَاهَا رَغْبَةً مِنْهُ فِي أَنْ يَسْلُكَ نَفْسَ
سَبِيلِ عَمِّهِ الشَّهِيدِ؛ الَّذِي اسْتَشْهَدَ فِي إِحْدَى أَكْبَرِ
مَعَارِكِنَا مَعَ إِسْرَائِيلَ.. ذَلِكَ الْعَمُّ الْعَظِيمُ؛ الَّذِي لَمْ يَبْقَ



مِنْهُ سَوَى صُورَةٍ كَبِيرَةٍ بِالزَّيِّ الْعَسْكَرَى تَزِينُ صَالَةَ
الْبَيْتِ، وَذِكْرَى طَيِّبَةٍ لَشَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ وَأَخْلَاقٍ عَالِيَةٍ،
رُويَتْ عَلَى لِسَانِ الْجَدَّةِ، وَمَا زَالَ الْأَبُ يَرُدُّهَا بِكُلِّ فَخْرٍ
فِي مَنَاسِبَاتٍ عَدِيدَةٍ..؟ أَمْ تَرَاهُ إِحْسَاسَ وَطَنِي مُبَكَّرٍ؛
تَفَجَّرَ دَاخِلَ نَفْسٍ حُسَامٍ؛ لِإِحْسَاسِهِ بِعَظَمَةِ وَطَنِهِ، وَرَغْبَةٍ
مِنْهُ فِي أَنْ يَظَلَّ قَوِيًّا وَعَظِيمًا.. بَعِيدًا عَنْ أَيَّةِ مَخَاطِرٍ..؟

أَمَّا ثَانِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَكَانَ سِلَاحًا قَوِيًّا، سَمِعَ عَنْهُ
كَثِيرًا مِنْ جَدَّتِهِ، يَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّنَا سَنَظَلُّ مُنْتَصِرِينَ مَا
دُمْنَا مَتَمَسِّكِينَ بِهِ، لَمْ يَجِدْهُ حُسَامٌ أَبَدًا فِي شَكْلِ لَعْبَةٍ..
هَذَا السِّلَاحُ اسْمُهُ الْإِيْمَانُ!

وَكَانَ ثَالِثُ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ؛ هُوَ أَنَّ حُسَامًا كَانَ يَتَمَنَّى
أَنْ تَمُرَّ السَّنَوَاتُ بِسُرْعَةٍ، لِكَيْ يَكْبُرَ وَيَصْبِحَ وَاحِدًا مِنْ
رِجَالِ الْجَيْشِ الْأَبْطَالِ، حَتَّى يَسْتَمْتِعَ بِمَا فِي الْحَيَاةِ
الْعَسْكَرِيَّةِ؛ مِنْ نِظَامٍ وَانضِبَاطٍ وَقُوَّةٍ تَدْرِيْبِيَّةٍ تَصْنَعُ
رِجَالًا يُمْكِنُهُمْ خَوْضُ الْمَعَارِكِ، رَدًّا لِلظُّلْمِ.. وَدِفَاعًا عَنْ
الْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ.

كَانَ حُسَامٌ يَشْعُرُ أَنَّهُ عَلَى أَبْوَابِ مَعْرَكَةٍ شَرِسَةٍ،
لِذَلِكَ اجْتَهَدَ - كَمُقَاتِلٍ - فِي أَنْ يَجْشُدَ قُوَّتَهُ وَأَسْلِحَتَهُ

فِي مَوَاجِهَتِهَا، أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ دَائِمًا، حَتَّى لَا تَأْخُذَهُ مَفَاجَأُ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ.. كَانَ يَشْعُرُ بِقَلْبِهِ يَنْبِضُ بِقُوَّةٍ وَعَنْفٍ، عِنْدَمَا تَلْتَقِي عَيْنَاهُ بِعَيْنِي وَالِدِهِ، الَّذِي أَحْسَّ بِأَنَّهُ سَيَنْظِمُ سَاحَةَ الْمَعْرَكَةِ الْقَادِمَةِ، بَعْدَ أَنْ رَأَاهُ عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ هَذِهِ الْأَيَّامَ!

ثُمَّ رَأَاهُ حَسَامَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ حَزِينًا مُتَعَبًا، وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ.. رَبَّتْ عَلَى ظَهْرِهِ بَحْنَانٍ وَهُوَ يَقُولُ:

- أَرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ رَجُلًا يَا حَسَامَ.

دَهَشَ حَسَامَ لِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ، نَظَرَ فِي عَيْنِي وَالِدِهِ.. رَأَى أَثَرًا لِحُزْنٍ دَفِينٍ فِي أَعْمَقِ أَعْمَاقِهِ.. كَانَتْ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَرَى وَالِدَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ.. سَأَلَ:

- أَبِي.. مَاذَا هُنَاكَ..؟

أَحْسَّ حَسَامُ بِيَدِ وَالِدِهِ تَضَمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ بِقُوَّةٍ، لَمْ يَجِدْ فِيهِ رَغْبَةً لِلْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالِهِ الْأَخِيرِ، فَصَمَتَ حَسَامٌ رَغْمًا عَنْهُ، كَانَتْ بِعَيْنَيْهِ دُمُوعُ حَزِينَةٍ، حَاوَلَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَنْ يَخْفِيَهَا عَنْ وَالِدِهِ، قَالَ حَسَامُ بَعْدَ مُعَانَاةٍ:

- أَعِدُّكَ يَا أَبِي.. بَأْنْ أَكُونُ رَجُلًا!-

وَمَضَتْ تِلْكَ اللَّحْظَةُ، وَقَدْ تَرَكْتَ دَاخِلَ نَفْسِ حُسَامٍ
قَلَقًا لَا حُدُودَ لَهُ؛ مِنْ مَعْرَكَةٍ قَادِمَةٍ بِلَاشِكَ، لَا يَدْرِي مَا
تَصِلُ إِلَيْهِ نَتَائِجُهَا.. أَحْسَنَ بِثَقَلِ اللَّحْظَاتِ.. الدَّقَائِقِ..
السَّاعَاتِ.. الْأَيَّامِ.. وَهُوَ يَعِدُّهَا، اسْتَعْدَادًا لِتِلْكَ اللَّحْظَةِ
الْقَاسِيَةِ، الَّتِي طَالِبَهُ وَالِدُهُ بَأْنْ يَكُونُ رَجُلًا؛ اسْتَعْدَادًا
لَهَا!-

وَسَرَعَانَ مَا جَاءَتْ تِلْكَ اللَّحْظَةُ!

كَانَ صَبَاحًا مُؤَلِّمًا، عِنْدَمَا رَأَى وَالِدَهُ حَزِينًا مُثْقَلًا
بِالْهُمُومِ وَالْآلَامِ، بِيَدِهِ صَحِيفَةٌ تَحْمِلُ خَبْرًا قَدْ يَكُونُ
عَادِيًّا، لِإِفْلَاسِ تَاجِرِ أَرْهَقَتِهِ الدُّيُونُ وَحَاصِرَتِهِ
الْمَشْكَلاتُ.. وَكَانَ هَذَا التَّاجِرُ هُوَ وَالِدُ حُسَامٍ!
لِذَلِكَ كَانَ عَلَى حُسَامٍ أَنْ يَتِمَّاسَكَ، عَلَى الْأَقْلِ أَمَامَ
وَالِدِهِ، بَعْدَ أَنْ قَرَأَ ذَلِكَ الْخَبَرَ الْمُؤَلِّمَ فِي الصَّحِيفَةِ..
اقْتَرَبَ مِنْ وَالِدِهِ فِي هَدُوءٍ، جَلَسَ إِلَى جِوَارِهِ.. قَالَ
بصَوْتٍ يَغْلِبُهُ الْبُكَاءُ:

- هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا أَبِي.

جَاءَ صَوْتُ الْوَالِدِ حَزِينًا:

- إِنَّهَا النَّهْيَةُ يَا حُسَامُ.. نَهَايْتِي أَنَا!

تَأَلَّمَ حُسَامٌ بِشِدَّةٍ مِنْ أَجْلِ وَالِدِهِ، بَحَثَ بَعَيْنَيْهِ عَنْ
وَالِدَتِهِ وَإِخْوَتِهِ.. رَأَاهَا جَالِسَةً فِي رُكْنٍ نَاءٍ تَبْكِي بِصَوْتٍ
مَكْتُومٍ، كَمَا رَأَى إِخْوَتَهُ وَقَدْ خِيَمَ الْحُزْنُ عَلَى مَلَامِحِهِمْ..
لَمْ يَشْعُرْ حُسَامٌ أَنَّهُ بَدَأَ مَعْرَكَتَهُ مِنْ تَوَّهِ؛ الَّتِي كَانَ
يَشْعُرُ بِاقْتِرَابِهَا.. نَسِيَ حُسَامٌ كَلِمَاتِ وَالِدِهِ بِضَرُورَةٍ أَنْ
يَكُونَ رَجُلًا..

ضَعُفَتْ قُوَّةُ حُسَامٍ وَمَقَاوِمَتُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ.. سَأَلَتْ
دُمُوعُهُ حَارَّةً!

جَاءَ صَوْتُ وَالِدِهِ أَشَدَّ حُزْنًا:

- طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تَكُونَ رَجُلًا.. وَالرِّجَالُ لَا يَكُونُونَ!

جَفَّ حُسَامٌ دُمُوعَهُ بِسُرْعَةٍ، قَاوَمَ ضَعْفَهُ بِكُلِّ
قُوَّتِهِ.. اتَّجَّهُ نَحْوَ صَالَةِ الْبَيْتِ، وَقَفَ أَمَامَ صُورَةٍ مَعْلُكَةٍ
عَلَى الْحَائِطِ، صُورَةُ عَمَّةِ الشَّهِيدِ.. لَقَدْ قَاتَلَ هَذَا الرَّجُلُ
الْعَظِيمَ الْعَدُوَّ بِشَجَاعَةٍ وَشَرَفٍ، حَتَّى نَالَ ثَمَرَةَ الشَّهَادَةِ،
لَمْ يَضَعُفْ أَبَدًا فِي مَعْرَكَةٍ؛ دَافَعَ فِيهَا بِقُوَّةٍ عَنْ كُلِّ
مَا هُوَ عَرَبِيٌّ؛ حَمَى فِيهَا تَرَابَ الْوَطَنِ، وَسَقَاهُ بِدُمَائِهِ،



فردَّ عنه كيدَ أعدائِهِ، وكان النصرُ حليفَهُ.. بالقربِ
منهَا - منْ صُورَةِ العمِّ الشَّهِيدِ - علَّقتْ صُورَةَ أُخْرَى
للجدَّةِ، التى لقيتْ ربَّهَا منذُ سنواتٍ قَلِيلَةٍ، اقترَبَ
حسامٌ منْ صُورَةِ الجدَّةِ، أحسَّ بِهَا تقولُ لَهُ شَيْئًا..
اقترَبَ أَكْثَرَ.. رأى فى عَيْنَيْهَا نَظْرَةً رَائِعَةً، حَثَّتْهُ بِقُوَّةٍ
على التَّحَمُّلِ والصَّبْرِ، كانتْ هِىَ الأُخْرَى سَيِّدَةً عَظِيمَةً،
كَافَحَتْ طَوِيلًا.. حَتَّى صَقَلَتْهَا التَّجَارِبُ، وَعَلِمَتْهَا
المَحَنُ!.

وكانتْ لَنَظْرَةِ الجدَّةِ - فى صُورَتِهَا - أعْظَمَ الأَثَرِ،
فَقَدْ فَجَّرَتْ دَاخِلَ حَسَامٍ الرَّغْبَةَ فى المَقَاوِمَةِ.. فى
الصُّمُودِ.. أَمَامَ تِلْكَ المَعْرَكَةِ الصَّعْبَةِ التى تَوَاجَهَهُ،
أَسْرَعَ إلى غُرْفَتِهِ، تَأَمَّلَ صُورًا لِأَسْلِحَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ، علَّقتْ
على الحَائِطِ: دَبَّابَةٌ.. طَائِرَةٌ.. زُورَقٌ طُورَبِيدٌ.. كانَ
حسامٌ يَعْتَزُّ بِهَا بِشِدَّةٍ، أَتْرَاهَا تَصْلُحُ لِمَعْرَكَتِهِ تِلْكَ..؟

حَزَنَ حَسَامٌ بِشِدَّةٍ وَقَدْ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا لَنْ تَفِيدَ شَيْئًا،
أَرَادَ أَنْ يَثْبِتَ لَوَالِدِهِ أَنَّهُ أَصْبَحَ رَجُلًا، وَمُقَاتِلًا بَطَلًا.. فى
مَعْرَكَةٍ كَادَتْ تُودِى بِوَالِدِهِ العَزِيزِ.. اسْتَدَارَ خَارِجًا مِنْ
الْغُرْفَةِ، تَذَكَّرَ كَلِمَاتِ قَالَتْهَا لَهُ جَدَّتُهُ قَبْلَ وَفَاتِهَا، عَنْ

سِلَاحٍ عَظِيمٍ لَا يَهْزَمُ أَبَدًا حَامِلُهُ، لَمْ يَجِدْهُ حَسَامٌ أَبَدًا فِي
شَكْلِ لَعْبَةٍ يُمْكِنُهُ اقْتِنَاعُهَا، أَسْرَعَ إِلَى وَالِدِهِ وَقَدْ امْتَلَأَ
قَلْبُهُ عَزْمًا وَحِمَاسَةً.. قَالَ:

- حَذَارْ مِنَ الْيَأْسِ يَا أَبَى!

تَأَمَّلْهُ وَالِدُهُ بَعِيْنٌ خَالِيَةً مِنَ الدُّمُوعِ مَلِيئَةً بِالْأَحْزَانِ..
فَقَالَ حَسَامٌ:

- أَذْكُرُكَ بِسِلَاحِ الْإِيْمَانِ!

تَأَمَّلَ الْأَبُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ، دُهِشَ لَهَا..

كَانَ لَهَا مَعْنَى كَبِيرًا.. يَعْرِفُهُ جَيِّدًا..

ثُمَّ تَسَاءَلَ دَاخِلَ نَفْسِهِ: كَيْفَ غَابَتْ عَنْهُ تِلْكَ
الْكَلِمَاتُ؟، لَقَدْ هَزَّتْهُ الْمَحَنَةُ بَعْنَفٍ، حَتَّى أَنْسَتْهُ ذَلِكَ
السِّلَاحُ الْعَظِيمُ.. وَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ ثَانِيَةً، وَقَدْ عَاوَدَتْهُ
رَغْبَتُهُ فِي الْمَقَاوِمَةِ، فِي الْقِتَالِ حَتَّى آخِرِ رَمَقٍ.. عَانَقَ
حَسَامًا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ بِقُوَّةٍ أَشَدَّ.. وَكَأَنَّهُ يَشْكُرُهُ عَلَى تِلْكَ
الْكَلِمَاتِ السَّحْرِيَّةِ، الَّتِي أَعَادَتْ لَهُ نَفْسَهُ وَحَيَاتَهُ وَذَاتَهُ،
لَا حَظَّ فِي عَيْنَيْ حَسَامٍ دُمُوعًا، ابْتَسَمَ فِي وَجْهِهِ بِفَرَحَةٍ،
هَزَّهُ بِقُوَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ:

- لَنْ أَسْتَسْلِمَ لِلْيَأْسِ يَا حَسَامُ!

تبدلت نظرة حسام إلى الفرّج.. فواصل والدّه:

- سوف أبدأ من جديد.. أيّها المقاتل العظيم!

ونجح الأب في أن يتخطّى حاجز الخوف.. واليأس..

فبدأ العمل من جديد؛ بجد وصبر وأناة وكدّ،
بمساعدة المخلصين من أصدقائه المقربين، تعلم من
أخطاء الماضي فتجنّب الوقوع فيها.. حتى استطاع أن
يقف على قدميه ثانية، ونجح في أن يعيد اسمه إلى
سجلّ التجار الشرفاء.

كان الأب يعلم جيّداً، أنّ الشدّة يتلوّها الرخاء، وأنّ
الضيّق يتبعه الفرّج.. لكنّه نسى ذلك في لحظة من
لحظات يأسه، عندما فاجأته تلك المحنة القاسية،
وكادت تقضي عليه بالفعل، لولا أن ذكره حسام بذلك
السلاح الرائع.. الإيمان!

وكان على الأب أن يكافئ حساماً، لم يطلب منه
هذه المرة أن يختار هديّة.. فقد عرف ما يريد ابنه
بالضبط، لكونه يحلم بأن يكون مقاتلاً بطلاً.. فاختار له

هذه المرة؛ (بدلة) عسكريّة رائعة الصنع، حملت شاراتٍ
ونياشينَ رتبةٍ (لواء).. أسعدت حُساماً كثيراً..

لقد ظهرَ فيها حُسام كبطلٍ عربى شجاع، يحملُ بينَ
جنبَيْهِ قلباً عطوفاً حنوناً.. نلّمُ جميعاً برؤيته يوماً، لكى
يثأّرَ للعمّ الشهيد، لكى يطهرَ الأرضَ العربيّة.. لن
يقتلَ عربياً أبداً.. أو مدنيّاً أعزلاً.. ولن يحرقَ بئراً
للبرّول!

رقم الإيداع	٢٠٠١/١١٧٢٤
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-1807-4

٧/٢٠٠١/٦٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)